

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والآداب العربي

الأستاذ: حمزة بوزيدي

مدخل إلى الأدب الصوفي

التصوف:

تباينت الآراء والأقوال حول معاني كلمة "تصوف"، سواء في شقها اللغوي، أو الاصطلاحي، وفيما يلي تلخيص وبسط لهذه المسألة المتشعبة.

لغة:

في كتابه "الرسالة القشيرية" يستعرض "أبو القاسم القشيري" بعض المعاني اللغوية لكلمة "تصوف"، ومن ذلك قولهم أنها مشتقة من الصفاء الذي هو ضد الكدر، أو أنها من لباس الصوف، أو نسبة إلى أهل صفة مسجد رسول الله، أو من الصف، فكانهم في الصف الأول بقلوبهم¹، لكن القشيري يستبعد المعاني السابقة كلها ولا يستقر على رأي ثابت. بينما نسبها "البيروني" إلى كلمة "صوفيا" اليونانية بمعنى الحكمة، وذهب آخرون إلى نسبتها لقبيلة صُفَّة الجاهلية. ومن الأشعار التي قيلت في هذه المسألة اللغوية، بيتين لـ"أبي الفتح البُستي"، إذ يقول:

¹ أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، (د.ط)، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1989، ص 464.

تتازع الناس في الصوفي واختلفوا	فيه، وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى	صافى فصُوفِي حتى سُمي الصوفي

في حين يميل أغلب نقاد العصر الحديث إلى نسبة التصوف للباس الصوف، ومن هؤلاء، ابن خلدون، المستشرق ماسينيون، الدكتور زكي مبارك، الدكتور بشار الفيضي، مصطفى عبد الرزاق، إبراهيم عوض، الدكتور شوقي ضيف، هذا الأخير، يُعلق على آراء القشيري بقوله: "ويبدو أن أوجه الآراء الرأي القائل بأن الكلمة مشتقة من الصوف لأن كثيرين من الزهاد في القرن الثاني الهجري كانوا يلبسونه، وشاع لبسه بين المتصوفة بعد ذلك"²، لكونه من العلامات الظاهرة التي يمكن تمييزها، وبالتالي أصبح الصوف رمزا لهذه الفئة، ودليلا على اختيارهم خشونة العيش بدل الركون إلى زخرف الحياة الدنيا وزينتها.

اصطلاحا:

تعددت مفاهيم التصوف بتعدد التجارب الروحية للمتصوفة واختلاف مشاربهم ومقاماتهم ومجاهداتهم، وكذلك باختلاف أزمنتهم، فتصوف البدايات غير تصوف النهايات، ولكنه يأخذ في الغالب طابعا دينيا مستوحى من العلاقة بين العبد المتصوف وخالقه، ويمكن القول أنّ معناه: "أن يزهد الإنسان في طيبات الحياة وأن يُقبل على الله بقلب سليم مجتهدا بكل قواه في الابتعاد عن المعاصي والالتزام بالواجبات والفروض الدينية"³.

ومن بين التعريفات التي ساقها "القشيري" لمفهوم التصوف ما يلي:⁴

-التصوف: هو الدخول في كل خلق سُني والخروج من كل خلق دني.

² شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط2، دار المعارف، مصر، 1975، ص 106.

³ إبراهيم عوض: الأدب الصوفي، ص 08.

⁴ أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، ص 465-466.

- علامة الصوفي الصادق: أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة.
وعلمة الصوفي الكاذب: أن يستغني بالدنيا بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد
الخفاء.

- التصوف: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.

- التصوف: أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء.